

فقد اليسرى فأبدع باليمنى

عندما أودع ميغيل دي ثريانتس (1547 - 1616) السجن لخمس سنوات في الجزائر بعد أسره (1575) أثناء مشاركته ضمن قوات عسكرية إسبانية ، لم يعتبر ذلك نهاية العالم ولم ينقلب ضد مبادئه بل استثمر تلك المدة ومن وجوده بين أربعة جدران لكي يخرج للعالم ككاتب متميز . وقد استفاد ثريانتس من بيئة الجزائر في كتاباته لاحقا حيث جاءت رواية دون كيخوته الشهيرة (وتسمى كذلك دون كيشوت) التي كان من بعض شخصياتها شخصيات حقيقية في الجزائر مثل (ثريدا) أي (ثريا) التي يقال بأنها أحبت ثريانتس وحاولت مساعدته على الخلاص من أسره .

وفي فترة خدمته العسكرية فقد يده اليسرى ولكن ذراعه لم تقطع بل فقد القدرة على استعمالها فقط ، وهو ما جعله يتفاخر بذلك ويكتب فيها القصائد ، ثم يبدع بعدها ليسطر بيده اليمنى واحدة من أفضل خمس روايات في العالم.

ونتيجة مباشرة لكثافة ونوعية قراءاته فقد بلغ من قوة أسلوبه وجمال عباراته وقدرته على الإبحار في عالم اللغة أن سميت اللغة الإسبانية (لغة ثريانتس) . وينظر الإسبان إليه نظرة إجلال وإكبار كما ينظر البريطانيون لشكسبير وأكثر ، وذلك لأنه كتب أول رواية أوروبية حديثة، تعتبر من أعظم الأعمال في الأدب العالمي إن لم تكن أعظمها حسب أغلب النقاد ، حتى اعتبروه مؤسساً لفن الرواية الحديثة ، علاوة على كونه شاعرا وكاتبا مسرحيا. وقد حصل هذا الكاتب العبقري على تكريمات — بعد موته — ما لم يحصل عليه إلا قلة من الكتاب في العالم . ولو أردنا مجرد ذكر أسماء ما حصل عليه منها فلن تكفيها مقالة قصيرة كهذه . ومن هذه التكريمات عمل أهم جائزة أدبية باللغة الإسبانية باسمه، وتأسيس جامعتين باسمه . كما أن المعهد الثقافي الإسباني الرئيسي يسمى ثريانتس ويضم 86 مركزا في 45 دولة منها مصر والمغرب والأردن والجزائر وتونس ولبنان، وذلك لتعليم اللغة والثقافة الإسبانية وثقافة دول أمريكا اللاتينية الناطقة بالإسبانية . ويقع المركز الرئيسي للمعهد في الضاحية التي ولد فيها ثريانتس في مدريد . كما تم تأسيس 14 مسرحا في خمس دول ومركزا صحيا باسمه، وهناك أسبوع ثريانتس السنوي ، ومهرجان باسمه في إحدى المدن الإسبانية . وكرم بوضع صورته على أحد قطع النقود الإسبانية ، ويتم سنويا تنظيم كأس ثريانتس لكرة القدم حيث تقام مباراة ودية في ألكالا دي إيناريس . وتوجد

عشرات التماثيل له في عدد من المدن الإسبانية ، وتمثال في متحف الشمع في مدريد . كما تحول اسم روايته إلى مصطلح وهو (الدونكيشوتية) التي تعني كل سلوك مبني على حلم غير قابل للتحقق ، وتم تمثيله كمسلسل وأنتج أكثر من فلم من الرواية . وقد توفي ثريانتس يوم 22 ابريل (قبل يوم واحد من وفاة شكسبير) حيث سمي ذلك اليوم يوما عالميا للكتاب .